بُنَاة دَوْلَةِ الإِسْلَام

- ١٥ -

# المِقْدَادُ بنْ عَمْرو

رَضِيَ اللهُ عَنه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـدُ لِلَّهِ رَبِّ العَـالَمِينَ، والصَّـلاةُ والسَّـلامُ على رَسُـولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، مُحَمَّـدِ بنِ عَبْـدِاللَّهِ أَفْضَلِ خَلْقِ اللَّهِ، وَخَاتَمِ أَنْبِيائِهِ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ، وَمَنْ سَارَ على دَرْبِهِ إِلى يَوْمِ الدِّينِ وَبَعْد:

فَـإِنَّـهُ إِذَا ذُكِـرَ المِقْـدَادُ بْنُ عَمْـرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ، تَداعَتِ الفُرُوسِيَّةُ إِلى الأَذْهَانِ، وَلَكِنْ إِذَا وَصَفْنَاهُ بِالفُرُوسِيَّةِ نَكُونُ قَدْ هَضَمْنَاهُ حَقَّهُ، أَوْ أَعْطَيْنا الفُرُوسِيَّةَ مَعْنىً أَكْبَرَ مِنْ مَعَـانيها، فَهُـوَ فَارِسٌ لا كـالفُرْسَـانِ، قَدْ يَلْتَقي مَعَهُمْ بِقُـوَّةِ الرِّجَالِ، وَشَجَـاعَةِ الأَبْـطَالِ، وَبُطُولَـةِ الشُّجْعَانِ، غَيْـرَ أَنَّهُ يَتفَوَّقُ عَلَيْهِمْ جَمِيعاً ـ إِلَّا مَنْ كانَ مِثْلَهُ ـ بِشِدَّةِ العَزْمِ المَشُوبَةِ بالإِيمان التي لا تَصْلُحُ مَعَها شِدَّةٌ مَهْما اشتَدَّتْ، وَلا تُدانِيها عَزِيمَةٌ مَهْما تَقَوَّتْ.

## نَشْأَتُــهُ:

يَعُـودُ المِقْدَادُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ، فِي أَصْلِهِ إِلَى المَهَرَةِ الَّذِينَ يُقيمُونَ بَيْنَ حَضْرَمَوْت وَظَفَارٍ، وَكَانَتِ الجاهِلِيَّةُ مُسيطِرَةً عَلى المُجْتَمَع، وَتَقُومُ على الصِّرَاعِ ، وَإِظْهَارِ القُوَّةِ لإِمْكَانِيَّةِ الغَلَبَةِ، وَإِخْضَاعِ الآخَرِينَ، كُلٌّ يَعْمَلُ على ذَلِكَ كَيْ يَكُونَ لَهُ السُّلْطَانُ، وَيَكُونَ لَهُ النُّفُوذُ. وَقَـدْ أَصَابَ أَبُـوهُ عَمْرُو بنُ ثَعْلَبَةَ دَماً في قَوْمِهِ، فَفَرَّ عَلى غَفْلَةٍ مِنْ خُصُومِهِ، وَهَرَبَ إِلى حَضْرَمَوْتَ، وَحَالَفَ هُنَاكَ كِنْدَةَ، وَتَزَوَّجَ، وَوُلِدَ لَهُ المِقْدَادُ، فَهُوَ إِذَنْ: المِقْدَادُ بنُ عَمْرِو بنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَالِكِ بنِ رَبيعَـةَ بن عَـامِـرِ بنِ مَـطْرُودِ بنِ عَمْـرِو بنِ سَعْـدِ بنِ دُهَيْـرِ بنِ لُؤَيِ بنِ ثَعْلَبَـةَ بنِ مَـالِـكِ بنِ الشَّـرِيـدِ بنِ أبي أَهْـوَنَ بنِ فَـائِشِ بنِ دُرَيمِ بنِ القَيْنِ بنِ أَهْـوَدَ بنِ بَهْـرَاءَ بنِ عَمْـرِو بنِ الحـافِ بنِ قُضَاعَةَ، فَهُوَ قُضاعِيٌّ، بَهْرَانيٌّ حَضْرَمِيٌّ، كِنْدِيٌّ.

بَدَأَتْ رُجُولَةُ المِقْدَادِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تَظْهَـرُ في سِنٍّ مُبَكِّرَةٍ، لَكِنَّهُ يَعيشُ في جَاهِلِيَّةٍ، وفي الجاهِلِيَّةِ شَهْوَةٌ جَامِحَةٌ إِلى السُّلْطَةِ، وَنُزُوعٌ كَبِيرٌ إِلَى السَّيْطَرَةِ، وَتَبْدُو هَذِهِ الرَّغبَةُ عَنْدَ الشَّبَابِ في مُقْتَبَلِ العُمْـرِ، إِذْ يَنْظُرُونَ مَعَهَا إِلى الآمَالِ في المُسْتَقْبَلِ ، أَمَلِ الزَّعَامَةِ والرِّئَاسَـةِ، أَمَلِ السِّيَـادَةِ، وَتَحْقِيقِ

الرَّغَبَاتِ مِنْ كُلِّ مَا تَهْوَى النَّفْسُ وَمَا تَشْتَهِي، وَصَحِيحٌ أَنَّ طُمُوحَاتِ الشَّبَابِ قَائِمَةٌ فِي كُلِّ عَصْرٍ، إِلَّا أَنَّها فِي الجَاهِلِيَّةِ كَانَتْ تَنْحَصِرُ فِي السِّيَادَةِ، ولِتَحْقِيقِ اللَّذَّاتِ، فَالسَّيِّدُ يَصْطَفِي لِنفْسِهِ مَا يَشَاءُ مِنْ فَتَيَاتِ قَوْمِهِ لَا تَمْتَنِعُ عَنْهُ وَاحِدَةٌ، وَلَا يَرْغَبُ أَهْلُها عَنْهُ بِغَيْرِهِ، وَيَأْخُذُ مِنْ قَبِيلَتِهِ أَثْمَنَ غَنَائِمِها، وَيَتَقَدَّمُ الصَّنَادِيدُ فِي القِتَالِ أَمَامَهُ، وَيُعَرِّضُ الأَبْطَالُ أَنْفُسَهُمْ لِلْمَوْتِ دُونَهُ، فَهُوَ عُنْوَانُ القَبِيلَةِ، وَحَامِي ذِمَارِهَا.

وَقَعَ خِلَافٌ بَيْنَ المِقْدَادِ وَبَيْنَ أَبِي شَمَّرِ بنِ حِجْرِ الكِنْدِيِّ، فَضَرَبَ المِقْدَادُ رِجْلَ أَبِي شَمَّرٍ بالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، وَكَانَ المِقْدَادُ فِي مُقْتَبَلِ العُمْرِ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ الرَّحِيلِ عَنْ دِيَارِهِ كَيْ لَا يُثْأَرَ مِنْهُ وَخَاصَّةً أَنَّهُ حَلِيفٌ لَهُمْ، وَهَرَبَ إِلَى مَكَّةَ، وَالْتَجَأَ إِلَى الأَسْوَدِ بنِ عَبْدِ يَغُوثَ الزُّهْرِيِّ، وَتَرَبَّى عِنْدَهُ، فَتَبَنَّاهُ الأَسْوَدُ حتى أَصْبَحَ يُعْرَفُ بِالمِقْدَادِ بنِ الأَسْوَدِ، وَقِيلَ: كانَ عَبْداً أَسْوَدَ اللَّوْنِ فَتَبَنَّاهُ، كما قِيلَ: إِنَّهُ حَالَفَهُ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِيهِ فَقَدِمَ عَلَيْهِ.

وَشَعَّ نُورُ الإِسْلامِ فِي مَكَّةَ، وَبَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَدْعُو قَوْمَهُ، فَكَانَ المِقْدَادُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَحَدَ السَّابِقِينَ لِرَجَاحَةِ عَقْلِهِ وَسَدَادِ فِكْرِهِ، وَذُكِرَ أَنَّهُ مِنْ بَيْنِ

سَبْعَةٍ أَظْهَرُوا الإِسْلاَمَ قَبْلَ غَيْرِهِمْ. وَهَاجَرَ المُسْلِمُونَ الأَوَائِلُ إلى الحَبَشَةِ مَرَّتينِ لمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ أَذى قَوْمِهِمْ، وَكَانَ المِقْدَادُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَيْنَ المهاجرينَ في المَرَّتَيْنِ.

وَجَاءَتْ الهِجْرَةُ إلى المَدِينَةِ، وَبَدأَ المُسْلِمُونَ يُهَاجِرُونَ أَفْرَاداً وَجَمَاعاتٍ، وَهَاجَرَ بَعْدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَوَجَدَ المُسْلِمُونَ في المَدِينَةِ الإِخْوَةَ المُؤْمِنينَ الَّذِينَ أَنْسَوْهُمْ ما يُعَانُونَ مِنْ غُرْبَةٍ، وَمَا يُلاَقُونَ مِنْ مَشَقَّةٍ، وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ مِنْ أَسىً عَلى تَرْكِ الأَموالِ، والعَشِيرَةِ وَالأَوْطَانِ، غَيْرَ أَنَّ المِقْدَادَ لَمْ تُمَكِّنْهُ ظُرُوفُهُ مِنَ الهِجْرَةِ رَغْمَ أَنَّ الدُّنيا ـ عِنْدَهُ ـ كُلَّها في كَفَّةٍ، والهِجْرَةُ في كَفَّةٍ وَهِيَ الرَاجِحَةُ، وَيُخَفِّفُ مِنْ أَلَمِهِ أَنَّهُ بَقِيَ في مَكَّةَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ مِنْ إِخْوَانِهِ، مِنْهُمْ مَنْ تَعْرِفُهُ قُرَيشٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ تَعْرِفْ، فَصَمَتَ عَلَى كُرْهٍ، وَسَكَتَ وَلَوَاعِجُ الأَسَى تَمْلأُ فُؤَادَهُ، وَتَقُضُّ مَضْجَعَهُ. وَبَدَأَ التَّفْكِيرُ يَأْخُذُ طَرِيقَهُ إِلَى نَفْسِ المِقْدَادِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في كَيْفِيَّةِ الهِجْرَةِ وَالوُصُولِ إِلَى الأَحِبَّةِ.

وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْدَ الهِجْرَةِ أَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنَ الصِّدَامِ مَعَ قُرَيشٍ التي يَأْكُلُ الحِقْدُ أَكْبَادَ زُعَمَائِها، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ تَتْرُكَ المُسْلِمينَ يَنْعَمُونَ بالاسْتِقْرَارِ،

وَيهْنَؤُونَ بالأَمْنِ، وَرأَى، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ مَيْـدَانَ المَعْرَكَةِ المُنْتَظَرَةِ سَيكُونُ عَلَى طَرِيقِ قَوَافِلِ قُرَيشٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالشَّامِ، وَحَدَّدَ المَنْطِقَةَ فِي ذِهْنِـهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ بِلاَدِ غِفَارٍ فِي الجَنُوبِ بَعِيداً عَنْ دِيارِ قُرَيْشٍ وَبَيْنَ بِلادِ جُهَيْنَةَ فِي الشَّمَالِ، وَبَيْنَ هاتَينَ المَنْطِقَتَيْنِ وإِلى الغَرْبِ مِنَ المَدينَةِ تَغْدُو قَوَافِلُ قُرَيْشٍ وَتَرُوحُ، فَلاَ بُدَّ مِنَ الاسْتِعْدَادِ، وَمِنَ الاسْتِعْـدَادِ دِرَاسَـةُ الأَرْضِ والتَّعَـرُّفُ عَلى فِجاجِهـا، وَدُرُوبِهـا، وَمَسَالِكِها، وَعُيُونِها، وَمِنَ الاسْتِعْدَادِ أَيْضـاً التَّعَرُّفُ عَلى أَهْـلِ المِنْـطِقَـةِ وَقَبَـائِلِهـا، وَمُحَـاوَلَـةُ كَسْبِهِمْ لِصَفِّ المُسْلِمينَ، أَوْ وُقُوفِهِمْ عَلَى الأَقَلِّ عَلى الحِيَادِ، إِذَا مَا وَقَعَتِ المَعْرَكَةُ بَيْنَ المُسْلِمينَ وَقُرَيْشٍ، وَلِضَمَانِ حِيَادِ هَذِهِ القَبَائِلِ التي تَخْشَى جَانِبَ قُرَيْشٍ عَادَةً، وَتُحَاوِلُ التَقَرُّبَ مِنْها لأَنَّها سَدَنَةُ البَيْتِ العَتِيقِ، لِذَا كَانَ لاَ بُـدَّ مِنَ التَّحَالُفِ مَـعَ هذِهِ القَبَـائِـلِ إِنْ أَمْكَنَ. وَرَغِبَ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ عَنْ طَرِيقِ غَزَوَاتٍ وَسَـرَايا، يَتَعَرَّفُ أَفْرَادُها بِأَنْفُسِهِمْ عَلى الأَرْضِ، وَيَلْتَقُونَ بِالْقَبَـائِلِ، وَيَتَحَمَّسُـونَ لِلْقِتَالِ، وَتَأَلَّفَـتْ هَـذِهِ الغَـزَوَاتُ والسَّرَايـا مِنَ المُهَاجِرِينَ فَقَطْ في أَوَّلِ الأَمْرِ، وَذَلِكَ لأَنَّ الأَنْصَارَ قَدْ بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في بَيْعَـةِ العَقَبَةِ الثَّـانِيَةِ

عَلَى النَّصْرِ في المَدِينَةِ، وَلَمْ يُبَايِعُوهُ عَلَى السَّيْرِ إِلى القِتَال خَارِجَ حُدُودِ مَدِينَتِهِمْ، وَإِنْ كانُوا على اسْتِعْدَادٍ لَلسَّيْرِ إِلَى آخِرِ الدُّنْيَا كمَا ظَهَرَ في كَلِمَةِ سَيِّدِهِمْ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قُبَيْلَ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ عِنْدَمَا أَرادَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَعْرِفَ رَأْيَهُمْ في ذَلِكَ.

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غَازِياً في رَأْسِ صَفَرَ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ، واسْتَعْمَلَ عَلَى المَدِينَةِ سَعْدَ بنَ عُبَادَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَيِّدَ الخَزْرَجِ، وَسَارَ حتى بَلَغَ وَدَّانَ، وَيُرِيدُ قُرَيْشاً وَبَنِي ضَمْرَةَ بنِ بَكْرِ بنِ عَبْدِ مَنَاةِ بنِ كِنَانَةَ، فَوَادَعَهُ بَنُو ضَمْرَةَ، وَكَانَ الَّذي وَادَعَهُ مِنْهُمْ مَخْشِيُّ بنُ عَمْرٍو الضَّمْرِيُّ، وَكَانَ سَيِّدَهُمْ، وَرَجَعَ بَعْدَهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى المَدِينَةِ، وَلَمْ يَلْقَ كَيْداً، وتُعْرَفُ هَذِهِ الغَزْوَةُ بِغَزْوَةِ «الأَبْوَاءِ».

وَمَا أَنْ وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلى المَدِينَةِ، وَأَقَامَ فيها بَقِيَّةَ شَهْرِ صَفَرَ وَصَدْراً مِنْ رَبيعٍ الأَوَّلِ حَتَّى بَعَثَ عُبَيْدَةَ بنَ الحَارِثِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ عَبْدِمُنَافٍ في سِتِّينَ أَوْ ثَمانِينَ رَاكِباً مِنَ المُهَاجِرِينَ لَيْسَ فِيهِمْ أَحَدٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَارَ عُبَيْدَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَتَّى بَلَغَ مَاءً بِالحِجَازِ

بِأَسْفَلِ ثَنِيَّـةِ المُرَّةِ فَلَقِيَ جَمْعَـاً عَظِيمـاً مِنْ قُرَيْشٍ ، وَعَلَى القَوْمِ عِكْرِمَةُ بنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَلَمْ يَقَعْ قِتَالٌ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، إلَّا أَنَّ سَعْـدَ بنَ أَبي وَقَّاصٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ، قَدْ رَمَى يَـوْمَئِذٍ بَسَهمٍ ، فَكَـانَ أَوّلَ مَنْ رَمَى بِهِ فِي الإِسْـلامِ ، ثُمَّ انصرفَ القَوْمُ عَنِ القَوْمِ ، وَللمُسْلِمِينَ حَامِيةٌ. وَخَرَجَ مِنَ المُشْرِكِينَ إِلَى المُسْلِمِينَ المِقْدَادُ بنُ عَمْرٍو البَهْرَانِيُّ وَعُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ، وكانَا مُسْلِمَيْنِ في مَكَّةَ، وَخَرَجَا مَعَ الكُفَّار وَسِيلَةً لِلْوُصُولِ إلى المُسْلِمِينَ.

وَسَـارَ الـرَّكْبُ الإِسْـلامِيُّ إلى المَـدِينَـةِ، وَالمِقْـدَادُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَعُدُّ الخُطُوَاتِ، وَيَجِدُّ في السَّيْرِ، وَلَوْلَا أَنَّهُ مَأْمُورٌ لَتَرَكَ القَوْمَ وَأَسْرَعَ الخُطَا لَيَلْتَقِي بِحَبيبِهِ وَنَبِيِّهِ، إِذْ زَادَ الشَّوْقُ إِلَيْهِ، فَقَدْ مَضَى عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ عَامٍ لَمْ يَرَهُ. وَوَصَلَ الرَّكْبُ إِلَـى المَدِينَةِ وانْطَلَقَ المِقْدَادُ إِلى المَسْجِدِ، وَقَدِ ارْتَفَعَتِ الحَرارَةُ،حَـرَارَةُ الشَّـوْقِ، حَـرارَةُ المَحَبَّـةِ، وَهُـوَ لا يَـدْرِي مَـا حَوْلَهُ، وَمَاذا يَصْنَعُ، حَتَّى إذا ٱنْتَهَى إِلى المَسْجِدِ، والْتَقى بِـرَسُـولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، انْهمَـرَ الـدَّمْـعُ مِنَ الفَرَحِ ، وَعَانَقَ رَسُولَهُ، وانْطَفأَ ظَمَأُ الشَّوْقِ، وَإِن لَمْ يَنْطَفِىءْ، وَعِنْدَما صَحَا إلى مَا حَوْلَهُ سَلَّمَ عَلى إِخْوَانِهِ، وَهَنَّأَهُمْ عَلَى

قُرْبِهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَكَرَ لَهُمْ حُسْنَ صَنِيعِهِمْ، وَهَنَّؤُوهُ بِسَلاَمَةِ الوُصُولِ، وَنَزَلَ على كُلْثُومِ بنِ الهِدْمِ، وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَبَّارِ بنِ صَخْرِ بنِ عَبْدِاللَّهِ بنِ عُتْبَةَ الأَنْصَارِيِّ. وَدَعَاهُ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى بَنِي حُدَيلة فَأَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيهِمْ.

وَتَكَرَّرَتِ الغَزَوَاتُ، وَتَعَدَّدَتِ السَّرَايا إلى الجِهَاتِ الغَرْبِيَّةِ لِلتَّعَرُّضِ لِقَوافِلِ قُرَيْشٍ، وَلَمْ يَحْدُثِ اللِّقَاءُ لأَنَّ المُخطِّطَ لَمْ يَكُنْ يُرِيدُ ذَلِكَ، وَإِنَّما يُرِيدُ دِراسَةَ مَيْدَانِ المَعْرَكَةِ، والتَّعَرُّفَ عَلَى قَبَائِلِ المَنْطِقَةِ، وَلَوْ أَرَادَ لَتَمَّ، فَكَانَ يُرْسِلُ السَّرِيَّةَ، أَوْ يَسِيرُ بِالغَزْوَةِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا بِقَافِلَةِ قُرَيْشٍ قَدْ مَرَّتْ، وَلَمْ يُدْرِكْهَا، أَوْ لَمْ تَتْبَعْها السَّرِيَّةُ. فَلَمَّا أَرَادَ الصِّدَامَ وَتَيَقَّنَ أَنَّ المَنْطِقَةَ أَصْبَحَتْ مَعْرُوفَةً، وَاطْمَأَنَّ إلى جَانِبِ أَهْلِهَا، وَأُفْلِتَتِ القَافِلَةُ مِنْ يَدِهِ، وَهِيَ قَافِلَةُ أَبِي سُفْيَانَ في طَرِيقِها إلى الشَّامِ تَرَكَ رَجُلَيْنِ هُمَا: سَعِيدُ بنُ زَيدٍ وَطَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِاللَّهِ لِيَرْصُدَا القَافِلَةَ حِينَ رُجُوعِهَا، وَإِعْلاَمِ المَدِينَةِ عَنْ وَقْتِ وُصُولِها.

وَجَاءَ الخَبَرُ عَنْ مَوْعِدِ القَافِلَةِ، وَنَدَبَ النَّاسَ للقِتَالِ

فَأَسْرَعَ مَنْ أَسْـرَعَ، وَمَا ظَنُّهُمْ إلاّ القَـافِلَةَ، لِذَا لَمْ يَخْـرُجِ النَّاسُ جَمِيعاً، وَنَجتِ القَـافِلَةُ، وَعَلِمَتْ قُرَيْشٌ، وَأَسْـرَعَتْ لإنْقَاذِ القَافِلَةِ، وَحِمَايَةِ سُمْعَتِها ـ حَسْبَ زَعْمِهَا ـ وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ القِتَالُ ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ المُؤمِنِينَ لَكَارِهُونَ. يُجَادِلُونَكَ في الحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّما يُسَاقُونَ إِلى المَـوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. وَإِذْ يَعِـدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَـاتِهِ وَيَقْـطَعَ دَابِرَ الكَـافِرِينَ. لِيُحِـقَّ الحَـقَّ وَيُبْطِلَ البَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ﴾[1]. وَكَانَ المِقْدَادُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ بَيْنِ القَوْمِ الَّذِينَ خَرَجُوا مَـعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ فَارِساً، وَالزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ، وَمَرْثَدُ بنُ أَبي مَرْثَدٍ كَانَا فَارِسَيْنِ أَيْضاً، وَلَمْ يَكُنْ غَيْرُ ثَلاثَتِهِمْ فَارِسَاً. وَيَرْوِي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: كانَ مَعِي فَرَسٌ يَوْمَ بَدْرٍ يُقَالُ لَهُ سَبْحَة.

وَوَقَفَ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، يَسْتَبْشِـرُ أَصْحَابَهُ وَقَدْ فُرِضَ عَلَيْهِم القِتَالُ، وَأَصْبَحُوا وَجْهَاً لِوَجْهٍ أَمَامَ

(١) سورة الأنفال: الآيات ٥ ـ ٨.

جَيْشِ قُرَيْشٍ يَتَقَدَّمُهُ طَواغِيتُهُ، وَيُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَعْرِفَ رَأْيَ الأَنْصَارِ، فَهُمْ أَكْثَرِيَّةُ الجَمْعِ، وَكَانَتْ بَيْعَتُهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ حِمَايَةَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في دَاخِلِ المَدِينَةِ، وَلَمْ تَنُصَّ البَيْعَةُ في القِتَالِ خَارِجَها، لِذَا رَغِبَ في مَعْرِفَةِ مَا يَراهُ الأَنْصَارُ، وَإِنْ لَمْ يُصَرِّحْ بِذَلِكَ، فَقَال: أَشِيرُوا عَليَّ أَيُّها القَوْمُ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ وَأَحْسَنَ. ثُمَّ قَامَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ وَأَحْسَنَ. فَأَثْنَى عَلَيْهِمَا رَسُول اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّها القَوْمُ».

فَنَهَضَ المِقْدَادُ بنُ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، امْضِ لِمَا أَرَاكَ اللَّهُ، فَنَحْنُ مَعَكَ، واللَّهِ لا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بنو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ﴾. وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فقَاتِلا، إِنَّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ، فَوالذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لو سِرْتَ بِنَا إِلى بَرْكِ الغِمَادِ[1] لجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّى تَبْلُغَهُ، وَإِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ يَسَارِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ. وَقَدْ سُرَّ

(١) برك الغماد: ناحية باليمن في أقصى الجزيرة.

رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَشْرَقَ وَجْهُهُ، وَقَالَ: «خَيْراً»، وَدَعا لَهُ بِهِ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَشيروا عَلَيَّ أَيُّها النَّاسُ»، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ رَأْيَ الأَنْصَارِ، فَوَقَفَ سَعْدُ بنُ مَعَاذٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَائِدُ كَتِيبَةِ الأَنْصَارِ، وَسَيِّدُ الأَوْسِ، فَقَالَ: واللَّهِ لَكَأَنَّكَ تُرِيدنا يَا رسُولَ اللَّهِ، قَال: «أَجَلْ». قَالَ: قَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الحَقُّ، وَأَعْطَيناكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنا وَمَوَاثِيقَنا على السَّمْعِ والطَّاعَةِ، فَامْضِ يا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ، فَوالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لو اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا البَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غداً، إِنَّا لَصُبُرٌ في الحَرْبِ، صُدُقٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ، لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ.

فسُرَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِقَوْلِ سَعْدٍ، وَقَالَ: «سِيرُوا وأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَني إِحْدَى الطائِفَتَينِ، وَاللَّه لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ القَوْمِ». وَكَانَتِ المَعْرَكَةُ، مَعْرَكَةُ بَدْرٍ، مَعْرَكَةُ الفُرْقَانِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ،

المَعْـرَكَـةَ التي نَصَـرَ اللَّهُ فيهـا عِبَـادَهُ المُؤْمِنِينَ، وَخَـذَلَ المُشْرِكِينَ.

واسْتَدَارَ العَامُ، وَأَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ بِطُغْيانِها وَجَبَرُوتِها تُرِيدُ أَنْ تَثْـأَرَ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَخَـرَجَ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، مَـعَ أَصْحَـابِـهِ لِمُـلاَقَـاةِ قُـرَيْشٍ، وَكَـانَ المِقْـدَادُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ، مِنْ أَوَّلِ الخَارِجِينَ كَمَـا هِي عَادَتُـهُ وَعَبَّأَ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، المُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ سِوى فَارِسَيْنِ الزُّبَيْرُ وَالمِقْدَادُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، وَكَانَ فُرْسَانُ قُرَيْشٍ مَائَتَي فَارِسٍ عَلَى مَيْمَنَتِهِمْ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِمْ عِكْرِمَةُ بنُ أَبي جَهْلٍ، وَهُمَا أَشْهَرُ الـرِّجَالِ فُرُوسِيَّةً.

إِنَّهُ مَنْظَرٌ أَوْ مَظْهَرٌ يَدْعُو إِلى الاسْتِغْرَابِ، وَقَدْ يَدْعُو إِلَى الضَّحِكِ: مِائتا فَارِسٍ مِنْ صَنادِيدِ قُرَيْشٍ يَبْدُو عَلى خُيُولِهِمْ التَّرَفُ وَشِدَّةُ البَأْسِ، يُقَابِلُهُمْ فَارِسَانِ عَلائِمُ الرَّثَّةِ تَبْدُو عَلَى فَرَسَيْهِمَا كَما تَظْهَرُ عَلَيْهِما، إِضَافَةً إِلَى هُزَالِ الجَوَادَيْنِ، فَأَيُّ تَعادُلٍ وَأَيُّ تَكَافُؤٍ، بَلْ أَيَّةُ نَتِيجَةٍ، وَرُبَّما يَقِفُ المَـرْءُ لِيَرى كَيْفَ يَكُونُ مَصْرَعُ هَذَيْنِ الفَارِسَيْنِ؟ وَكَيْفَ تُنَاوِشُهُمَا الرِّمَاحُ،

وَتُمَـزِّقُهُمُ السُّيُوفُ، وَتَضِيـعُ أَجْزَاؤُهُمـا بَيْنَ سُيُوفِ الأَعْـدَاءِ وَرِمَاحِهِمْ وَسَنَابِكِ خَيْلِهِمْ؟.

وَبَدَأَ الهُجُومُ وَضَرَبَ كُلٌّ مِنَ الزُّبَيْرِ والمِقْدَادِ جَوَادَهُ ضَرْبَةً يَبْدُو أَنَّها أَلِيمَةٌ كَيْ يَنْطَلِقَ انْطِلاَقَةً لا ارْتِدَادَ بَعْدَهَا، وَيَتَقَدَّمَ تَقَدُّماً لَا انْثِنَاءَ بَعْدَهُ، وَكُـلٌّ مُقَرِّرٌ عَلَى انْتِـزَاعِ النَّصْرِ رَغْمَ التَّفَاوُتِ الكَبِيرِ الكَبِيرِ، أَوِ الحُصُولِ عَلَى الشَّهَادَةِ، واللَّهُ يَعْلَمُ أَيَّ الحُسْنَيَيْنِ كَـانَتْ أَحَبَّ إِلَى قَلْبِ هَـذَيْنِ الصَّحَـابِيِّينِ الجَلِيلَيْنِ.

وَانْـطَلَقَ الجَـوَادَانِ بِعُنْفٍ، وَتَـطَايَـرَ الشَّـرَرُ مِنْ تَحْتِ السَّنَابِكِ، وَعَلاَ الغُبَارُ، وَمَا هِيَ إِلَّا لَحْظَةً حَتَّى كَانَ كُلٌّ مِنَ الجَوَادَيْنِ كَالسَّهْمِ بِالقُرْبِ مِـنَ الأَعْـدَاءِ يَصْهَلُ مِنَ الأَلَمِ، وَيَصْهَـلُ لِاقْتِـرَابِـهِ مِنَ الخَيْـلِ، وَيَخْتَلِطُ الصَّهِيـلُ بِصَـوْتِ البَـطَلَيْنِ المُـزَمْجِـرِ، وَشَخَصَتْ عُيُـونُ الأَعْـدَاءِ، وَانْقَـطَعَ التَّفْكِيرُ، وَوَجَمَتِ النَّفْسُ، وَلَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مَاذَا يَفْعَلُ حَتَّى لَوَى رَأْسَ جَـوَادِهِ، وَوَلَّى الأَدْبَارَ، وَاصْـطَدَمَتِ الخُيُولُ الهَـارِبَـةُ بَعْضُهَـا بِبَعْضٍ... اللَّهُ أَكْبَـرُ واسْتَعْلَى الإِيمَـانُ... وَلَحِقَ الفَارِسَانِ بِكَوْكَبَاتِ جِيَادِ المُشْرِكِينَ... اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّهُ لَمَنْـظَرٌ رَائِعٌ... مُرْعِبٌ... مُخِيفٌ... مُثِيرٌ يَسْتَعْلِي الإِيمَانُ...

وَيُطَأْطِىءُ الشِّرْكُ... فَارِسَانِ يَهْزِمَانِ مِائَتَيْ فَارِسٍ يَقُودُهُمَا خالِدٌ وَعِكْرِمَةُ. أَيْنَ بُطُولَةُ خَالِدٍ؟ وَأَيْنَ فُرُوسِيَّةُ عِكْرِمَةَ؟ أَيْنَ شَجَاعَةُ الصَّنَادِيدِ؟ إِنَّها كُلُّها تَتَمَرَّغُ في الوَحْلِ أَمَامَ الإِيمانِ.

إِنَّها أَوَّلُ مَرَّةٍ يُهْزَمُ فيها خَالِدٌ، إِذ هُزِمَ أَمامَ الإِيمانِ... إِنَّ طَوَاغِيتَ الدُّنْيا، وَجَبَابِرَةَ الدُّنْيا تَصْغُرُ أَمَامَ الإِيمانِ وَتُذَلُّ. وإِنَّها الهَزِيمَةُ الوَحِيدَةُ لِخَالِدٍ في شِرْكِهِ وَإِسْلاَمِهِ.

إِنَّها أَوَّلُ مَرَّةٍ يَفِرُّ فيها عِكْرِمَةُ، إِنَّهُ فَرَّ أَمَامَ الإِيمان... إِنَّ أَشَدَّ أَهْلِ الأَرْضِ قُوَّةً، وَأَثْبَتَ أَهْلِ الأَرْضِ جَنَاناً، وَأَعْظَمَهُمْ شجَاعَةً، وَأَكْثَرَهُمْ بُطُولَةً، وَأَمْتَنَهُمْ زِنْداً، وَأَمْهَرَهُمْ فُرُوسِيَّةً يَضْعُفُ أَمامَ الإِيمانِ، وَيَجْبُنُ أَمَامَ الحَقِّ، وَيَهْوِي أَمَامَ أَهْلِهِ، وَيَفِرُّ أمامَ أَتْبَاعِهِ...

لَقَدْ فَرَّ خَالِدٌ، وَفَرَّ عِكْرِمَةُ، وَفَرَّتْ مَعَهُمْ الأَبْطَالُ، وانْهَزَمَ مِائَتَا فَارِسٍ أَمَامَ الزُّبَيْرِ والمِقْدَادِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بِقُوَّةِ إِيمانِهِمَا، وَشِدَّةِ عَزْمِهِما على آنْتِزَاعِ النَّصْرِ أَوِ الشَّهَادَةِ، وإِنَّهُمَا لَيَسْتَشْعِرَانِ بِالجَنَّةِ مِنْ خَلْفِ المَعْرَكَةِ، وَلَيَشُمَّانِ رَائِحَتَهَا مِنْ خِلالِ غُبارِ القِتَال.

وابْتَعَدَ المُنْهَزِمُونَ، وَعَادَ الفَارِسَانِ المُؤْمِنَانِ إلى الجَيْشِ الإِسْلامِيِّ، فَإِذَا بِهِ يُلاحِقُ المُشْرِكِينَ، وَيُعْمِلُ فِيهِمْ السَّيْفَ... ورَأى الرُّمَاةُ مِنْ على جَبَلِهِمْ النَّصْرَ، فَتَرَكُوهُ إلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَحِقُوا بِالمُسْلِمِينَ الآخَرِيْنَ يَتَتَبَّعُونَ المُشْرِكِينَ.

وَوَقَفَ فُرْسَانُ قُرَيْشٍ بَعِيداً، وَعَادَتْ إِلَيْهِمْ الصَّحْوَةُ، وَرَأى خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ نُزُولَ رُمَاةِ المُسْلِمِينَ، فانْطَلَقَ بِفُرْسَانِهِ، وَارْتَقَى الجَبَلَ، وَأَجْهَزَ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنَ الرُّمَاةِ... وانْطَلَقَ خَلْفَ المُسْلِمِينَ الَّذِين أَصْبَحُوا بَيْنَ نَارَيْنِ، فَتَغَيَّرَتِ المَعْرَكَةُ، وَتَبَدَّلَ المِيزَانُ فيها.

المُسْلِمُونَ: نَصْرٌ ثُمَّ تَراجُعٌ، أَجْسَامٌ مُتْعَبَةٌ، وَنُفُوسٌ أَبِيَّةٌ، وَهِمَمٌ عَالِيَةٌ تَسْتَعلي بإِيمانِها، وَتِثِقُ بِنَصْرِ اللَّهِ... فتَرْتَفِعُ بأَصْحَابِها.

المُشْرِكُونَ: هَزِيمَةٌ ثُمَّ تَقَدُّمٌ، أَجْسَامٌ مُتَهَدِّلَةٌ، وَهِمَمٌ مُتْعَبَةٌ، وَنُفُوسٌ تَشْمَخُ بِطُغْيانِها، وَتَسْتَعْلِي بجَبَرُوتِها، تَخْشَى مِنَ المُؤْمِنِينَ، وَتَخَافُ أَنْ تَعُودَ عَلَيْها الكَرَّةُ، وَلَا تَكادُ تُصَدِّقُ مَا أَحْرَزَتْهُ...

وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً.

وَاقْتَضَتِ الحِكْمَـةُ في المَعْرَكَـةِ وَمَا آلَتْ إِلَيْـهِ أَنْ يَتْرُكَ الفارِسَانِ جَـوَادَيْهِمَا وَأَنْ يَكُـونَا بَيْنَ صُفُـوفِ المُسْلِمِينَ. . . وَانْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ.

وَشَهِـدَ المِقْدَادُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ، المَشَاهِـدَ كُلَّها مَـعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَتَخَلَّفْ مَرَّةً وَاحِدَةً، بَلْ كَانَ دَائِمَـاً في طَلِيعَةِ الصُّفُـوفِ. وَيَوْمَ فَتْـحِ مَكَّةَ كَـانَ الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَلَى المَجْنَبَـةِ اليُسْرَى، وَكَـانَ المِقْـدَادُ بنُ عَمْـرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ، عَلَى المَجْنَبَـةِ اليُمْنَى، فَلَما دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَكَّةَ، وَهَدَأَ النَّاسُ جَاءَا بِفَرَسَيْهِمَا فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَمْسَحُ الغُبَارَ عَنْ وَجْهَيْهِمَا بِثَوْبِهِ، وَقَالَ: «إِني جَعَلْتُ للفَرَسِ سَهْمَيْنِ وللفارِسِ سَهْماً فَمَنْ نَقَصَهُمَا نَقَصَهُ اللَّهُ».

وَتَأَخَّرَ المِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في الزَّوَاجِ ، وَمَرَّةً كَانَ هُوَ وعَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ جَالِسَيْنِ فَقَالَ لَهُ: مَالَكَ لاَ تتزَوَّجُ. قَالَ: زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ. فَغَضِبَ عَبْدُالرحْمَنِ وَأَغْلَظَ لَهُ، فَشَكا ذَلِكَ للنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَـالَ: «أَنَا أُزَوِّجُـكَ»، فَـزَوَّجَـهُ بِنْتَ عَمِّـهِ ضُبَـاعَـةَ بِنْتَ الـزُّبَيْـرِ بنِ عَبْدِالمُطَّلِبِ.

وَتُـوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، وَهُـوَ عَنْـهُ رَاضٍ.

وَحَـدَّثَ المِقْـدَادُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ، فَقَـالَ: اسْتَعْمَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى عَمَلٍ، فَلَمَّا رَجَعْتُ قَالَ: «كَيْفَ وَجَدْتَ الإِمَارَةَ؟» قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ! مَا ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّ النـاسَ كُلُّهُمْ خَـوَلٌ لِي، وَاللَّهِ لا أَلِي عَلى عَمَـلٍ مَا دُمْتُ حَيّاً.

وَرُوِيَ أَنَّ جَمَاعَةً جَلَسُوا إِلى المِقْدَادِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَوْماً، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: طُوبَى لهاتَيْنِ العَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ رَأَتَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واللَّهِ لَوَدِدْنَا أَنَّا رَأَيْنا مَـا رَأَيْتَ، فاسْتَمَعْتُ، فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ، مَا قَـالَ إِلَّا خَيْراً، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ما يَحْمِلُ أَحَدَكُمْ عَلى أَنْ يَتَمَنَّى مَحْضَراً غَيَّبَهُ اللَّهُ عَنْهُ، لا يَدْرِي لَوْ شَهِدَهُ كَيْفَ يَكُونُ فِيْهِ. وَاللَّهِ لَقَدْ حَضَـرَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، أَقْوَامٌ كَبَّهُمُ اللَّهُ عَلى مَنَـاخِرِهِمْ في جَهَنَّمَ، لَمْ يُجِيبُـوهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُـوهُ، أَلَا تَحْمَـدُونَ اللَّهَ، لَاتَعْرِفُـونَ إِلَّا رَبَّكُمْ مُصَدِّقِينَ بِمَـا جَـاءَ بِـهِ نَبِيُّكُمْ، وَقَـدْ كُفِيتُمُ البَلَاءَ بِغَيْـرِكُمْ؟ وَاللَّهِ لَقَـدْ بُعِثَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى أَشَدِّ حَـالٍ بُعِثَ عَلَيْهِ نَبِيٌّ في

فَتْرَةٍ وجَاهِلِيَّةٍ، مَا يَرَوْنَ دِيناً أَفْضَلَ مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، فَجَاءَ بِفُرْقانٍ حَتَّى أَنَّ الرَّجُلَ لَيَرَى وَالِدَهُ أَوْ وَلَدَهُ، أَوْ أَخاهُ كَافِراً، وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ قِفْلَ قَلْبِهِ للإيمانِ، لَيَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ مَنْ دَخَلَ النَّارَ، فَلاَ تَقَرُّ عَيْنُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ حِميمَهُ في النَّارِ، وَأَنَّها لَلَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعالَى: ﴿رَبَّنا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّياتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾[1].

وَصَفَتْ كَرِيمَةُ بِنتُ المِقْدَادِ أَبَاهَا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ: كَانَ رَجُلاً طَوِيلاً آدَمَ، ذَا بَطْنٍ، كَثِيرَ شَعْرِ الرَّأْسِ، يُصَفِّرُ لِحْيَتَهُ، وَهِيَ حَسَنَةٌ، وَلَيْسَتْ بالعَظِيمَةِ وَلاَ بِالخَفِيفَةِ، أَعْيَنَ، مَقْرُونَ الحاجِبَيْنِ، أَقْنَأَ.

وَمَعَ أَنَّهُ كَانَ عَظِيْمَ البَطْنِ ثَقِيلاً فَلَمْ يُعْفِ نَفْسَهُ مِنَ الجِهَادِ، وَذَلِكَ رَغمَ سِنِّهِ التي تَقَدَّمَتْ. وَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ وَقَدْ رآهُ يَجْلِسُ على تابوتٍ قَدْ فَضَلَ عَنْها عِظَماً: قَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: أَبَتْ عَلَيْنَا سُورَةُ البُعُوثِ ﴿آنْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً﴾.

وَمَاتَ بالجُرُفِ عَلى ثَلاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ المَدِينَةِ، فَحُمِلَ

(١) سورة الفرقان: الآية ٧٤.

عَلَى رِقَابِ الرِّجَالِ حَتَّى دُفِنَ بالمَدِينَةِ بِالبَقِيعِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَذَلِكَ سَنَةَ ثَلاثٍ وَثَلاثِينَ. وَكَانَ يَوْمَ مَاتَ ابنَ سَبْعِينَ سَنَةٍ أَوْ نَحْوِهَا. وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثَنَاءً عَطِراً.

وَقِيلَ عَنْ سَبَبِ مَوْتِهِ: إِنَّهُ شَرِبَ دُهْنَ الخَروَعِ فَمَاتَ. وَقِيلَ: إِنَّهُ تَضَايَقَ مِنْ عِظَمِ بَطْنِهِ كَثيراً حَتَّى قَبِلَ مِنْ غُلامٍ رُومِيٍّ أَنْ يَشُقَ لَهُ بَطْنَهُ، وَيُخْرِجَ مِنْ شَحْمِهِ حَتَّى تَلْطُفَ، وَقَدْ فَعَلَ فماتَ مِنْ أَثَرِ ذَلِكَ.

وَكَانَ المِقْدَادُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَيْسُوراً، فَقَدْ أَوْصَى لِلحَسَنِ وَالحُسَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بِستةٍ وَثلاثِينَ أَلْفاً، وَلأُمَّهاتِ المُؤْمِنِينَ، لِكُلِّ وَاحِدَةٍ بِسَبْعَةِ آلافِ دِرْهَمٍ. وَقَالَتِ ابنَتُهُ: بِعْنا طُعْمَةَ المِقْدَادِ التي أَطْعَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِخَيْبَرَ، خَمْسَةَ عَشَرَ وَسْقاً شَعِيراً مِنْ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبي سُفْيانَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ.